

## مدى إعداد معلمي السنة أولى ابتدائي لتطبيق المقاربة بالكفاءات ضمن الإصلاحات التربوية الجديدة حسب المعلم والمفتش

### ملخص

أنجز هذا البحث مع انطلاق الإصلاحات التربوية في الجزائر سنة 2003، وكان الهدف منه معرفة مدى إعداد معلمي السنة أولى ابتدائي مهنيا لفهم ثم تطبيق هذه الإصلاحات، علما أن نجاحها يعتمد إلى حد بعيد على دور المعلم. وتحقيق أهدافها مرهون بقدرته على تطبيقها وفهم أسسها وأبعادها، وبالتالي الاقتناع بها واتخاذها كقضية يتقانى في كسب رهاناتها.

أ. حرقاس وسيلة  
كلية العلوم الإنسانية  
جامعة قالم،  
الجزائر

### مقدمة

**سعت** الجزائر جاهدة إلى إدخال جملة من الإصلاحات العلمية والبيداغوجية على نظامها التربوي. فظهرت سلسلة من التغيرات والتطورات أهمها: تطبيق الرؤية البيداغوجية الجديدة والمعمول بها عالميا في أكثر الدول تطورا. تتمثل هذه الإستراتيجية البيداغوجية في المقاربة بالكفاءات.

لكن الإشكالية التي ظهرت مع هذه الإصلاحات هي: إشكالية التحضير المسبق للهيكل البشرية والمادية لتسهيل تطبيق هذه الإصلاحات. وقد سلطنا الضوء في بحثنا هذا على إشكالية

### Résumé

Ce travail a débuté simultanément avec les réformes éducatives algériennes de 2003. Nous avons voulu par ce travail de recherche nous rapprocher de la réalité de l'opération de préparation des instituteurs et leur qualification pour mettre en œuvre les nouvelles réformes, tout en les considérant comme le facteur humain directement responsable de leur application -les réformes - et par conséquent, du degré de leur réussite ainsi que la réalisation de leurs objectifs.

الإعداد البشري وتكوين المعلمين. وبما أن هذا البحث أنجز بالتزامن مع وضع الإصلاحات التربوية في الجزائر سنة 2003، فإن الاهتمام كان بمعلمي السنة الأولى ابتدائي ومدى إعدادهم علميا وبيداغوجيا لتفعيل مساهمتهم في إنجاح عملية الإصلاح التربوي.

### 1- العوامل المساعدة على وضع الإصلاحات التربوية لسنة 2003:

لقد كان لهذه الإصلاحات مجموعة من الدواعي والأسباب جعلت منها ضرورة اجتماعية بل وحتى سياسية، ويمكن حصر هذه الأسباب في النقاط التالية:

- عدم مسايرة برامج التعليم الأساسي للتغيرات العلمية، وخاصة بعد ثورة المعلوماتية الهائلة التي نشهدها.

- التطورات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية التي تعرفها الجزائر في هذه العشرية الأخيرة غيرت الكثير في فلسفة المجتمع(1).

- عولمة المبادلات الاقتصادية والثقافية والتعليمية التي تفرض على النظام التعليمي أن يتكيف معها بالتغيير والتعديل.

### 2- إشكالية الدراسة:

من علامات الحكم الراشد في أي مجتمع الاقتناع بضرورة التغيير لمواكبة التطورات السريعة على المستويين الداخلي وخاصة الخارجي حتى يتكيف -المجتمع- معها ولا يضطر لأن ينجر وراءها، أو تفرض عليه تغيرات غير مدروسة قد تؤدي إلى نتائج عكسية أو غير متوقعة.

انتبهت الجزائر إلى هذه الحقائق خاصة في المجال التربوي، وسارعت إلى إدخال جملة من الإصلاحات على نظامها التعليمي. يتوقف نجاح هذه الإصلاحات على قدرة المعلمين على تجسيدها وتحقيق أهدافها المسطرة. فلم يعد المعلم مجرد مرسل للمعلومات الأكاديمية والبيداغوجية(2) كما كان يعتقد البعض في المفهوم التقليدي لتكوين المعلمين ودورهم. بل هو العصب الأساسي في تنفيذ أي مشروع تعليمي، وعليه يتوقف نجاحه. ومنه ارتبطت إشكالية بحثنا بالتساؤلات التالية:

1- هل معلمي السنة الأولى ابتدائي مهيبين تكوينيا لتطبيق المقاربة بالكفاءات ضمن الإصلاحات الجديدة؟

2- هل تلقى معلمو السنة الأولى ابتدائي إعدادا كافيا لتطبيق الإصلاحات قبل تطبيقها؟

3- هل تلقى معلمو السنة الأولى ابتدائي إعدادا كافيا لتطبيق الإصلاحات بعد تطبيقها؟

4- هل محتوى الإعداد منسجم مع طبيعة الإصلاحات الجديدة؟

### 3- مفهوم الإصلاح التربوي:

اختلف المختصون في تصور مفهوم الإصلاح التربوي، وبالتالي اختلفت التعريفات والتطبيقات والاستراتيجيات المصاحبة له.

- فقد جاء في منجد اللغة والآداب والعلوم(3): أصلح الشيء: أي أحسنه. وأصلح بينهم: وفق بينهم.

- وفي قاموس اللغة الفرنسية(4): أصلح /réformer: تعني التصحيح والتغيير للأحسن. وإصلاح التعليم /réforme de l'enseignement: تعني تغيير التعليم وتحسينه.

- وجاء في القاموس الموسوعي للتربية والتكوين(5) أن إصلاح التعليم هو: تغيير أساسي ومهم changement majeur ومرغوب فيه من حالة أولية إلى حالة معلن عنها ومخططة. كما أن التطوير يميل إلى التغيير المستمر والعميق وهو التجديد. أما التعديل modification فهو تغيير جزئي يمس عنصرا معينا لا يؤدي بالضرورة إلى مجموعة العناصر التي ينتمي إليها ولا يخدمها. أما التحويل transformation فهو عبارة عن تغيير كلي مع تنوع الخاصية السطحية للتغيير.

- يذهب Claude Levier(6) إلى أن إصلاح التعليم يحدث ضمن مشاريع مؤسساتية وقوانين محددة.

- أما في معجم التربية فقد ترجم مصطلح réforme بمصطلح "العلاج" وهو مشروع تغيير وتطوير النظام التربوي في إطار عملية الابتكار من مستوى أدنى من العلاقة بين مكوناته إلى مستوى الاندماج ثم الاتساق (التنظيم). فالاندماج الديناميكي وبعده الاتساق الديناميكي (7).

- بينما يرى سعيد كتاني(8) أن: " كل إصلاح في التعليم هو عبارة عن عقد اجتماعي contrat social بين المعلم والمتعلم والمعرفة والدراسة والمجتمع للبحث عن أضمن السبل لتحسين العلاقات والتبادلات بين هذه العناصر بدل البحث عن أفضل الإصلاحات وفرضها على نظام التعليم".

4- استراتيجيات الإصلاح التربوي: ترسم الإستراتيجية التربوية على مدى طويل نسبيا مسيرة التربية ومجراها العلمي بما يتناسب والسياسة التربوية المتبناة وتحقيق أهدافها. حيث ينبغي أن تكون شاملة لجميع أشكال التربية ومستوياتها متكاملة مع الأهداف السياسية والاجتماعية والاقتصادية(9).

وأهم ما في المنهجية العلمية والتقنية في العمل الاستراتيجي هو " مبدأ الفعل المسبق" لا " مبدأ رد الفعل الفوري"(10). هذا وقد بين تقرير اللجنة المتخصصة في وضع استراتيجيات تطوير التربية في البلاد العربية(11) أربعة بدائل للاستراتيجيات

التربوية مندرجة حسب درجة فاعلية كل واحدة كالتالي:

- 1- إستراتيجية الاستمرار الخطي: تهتم بالجانب الكلي من الإصلاح، كإنجاز المشاريع وهياكل الاستقبال واستيراد الأنظمة التربوية دون البحث في المشكلات الحقيقية التي يعانيتها نظامها.
- 2- إستراتيجية الإصلاح الجزئي للكفاية الخارجية: تهتم بتحقيق التوافق بين الإصلاحات والنمو الاقتصادي بإعداد القوى البشرية للاستجابة لمتطلبات سوق العمل، بغض النظر عن الجوانب الثقافية والاجتماعية. بالإضافة إلى أن هذا النوع من الاستراتيجيات يهتم أكثر بتكوين كفاءات التعليم العالي والتقني على حساب الاهتمام بالتعليم الأساسي وتربية الصغار.
- 3- إستراتيجية الإصلاح الجزئي للكفاءة الداخلية: تهتم بإصلاح مكونات المناهج: من محتويات وأهداف واستراتيجيات بيداغوجية وأساليب التقويم لتحقيق الانسجام بينها دون الاهتمام بخصائص المجتمع ومتطلبات التنمية الشاملة.
- 4- إستراتيجية التجديد الشامل للتربية: تهتم بالجوانب الكمية للإصلاح وتعتمد على البحث في حل مشكلات التربية بالرجوع إلى الفكر التربوي الحديث في إطار علاقاته ببقية النظم.

#### 5- الجديد في إصلاحات: 2003

- 1- من المدرسة الأساسية إلى المدرسة الابتدائية: اعتمد النموذج الجزائري المدرسة الابتدائية ذات الخمس سنوات، مع إلحاق السنة السادسة بالتعليم المتوسط لتصبح مدته أربع سنوات، وإلحاق التعليم التحضيري إجباريا بالتعليم الابتدائي.
- 2- إصلاح النصوص القانونية: لم تخرج إصلاحات 2003 عن الإطار المرجعي للنظام التربوي المعمول به، وحافظت على مبادئ الأمة الجزائرية المدونة في بيان أول نوفمبر 1954، وإطار القيم العربية الإسلامية ومبادئ الديمقراطية(12). إلا أنها أضافت البعد الأمازيغي كأحد المكونات الأساسية للهوية الجزائرية(13). كما شملت الإصلاحات تنظيم التعليم الخاص وهيكلته بقوانين محددة.
- 3- من مفهوم البرنامج إلى مفهوم المنهاج: يقتضي مفهوم المنهاج فكرة التعدد المنظم للمحتويات المعرفية في مختلف مواد مسار دراسي معين، وسيرورة ممتدة ومنظمة في الزمن حسب تدرج التعلّمات (14). إن المناهج التعليمية لا تشمل المقررات التعليمية فحسب، إنما أيضا غايات وأهداف التربية، الأنشطة التعليمية وكيفيات تقويم التعليم والتعلم(15) كما يؤكد ذلك D'hainaut, 1983.
- 4- إصلاح منهجية التدريس: في إطار جعل المتعلم محورا للعملية التعليمية وهدفا لها، باعتماد القواعد البيداغوجية التالية:

مدى إعداد معلمي السنة أولى ابتدائي لتطبيق المقاربة بالكفاءات ضمن الإصلاحات التربوية

- المقاربة بالكفاءات: حيث أصبح الهدف من التعليم إكساب المتعلم جملة من الكفاءات المعرفية والمهارية والاتصالية واللغوية يمكنه بواسطتها التكيف مع حياته الدراسية والمهنية والاجتماعية بدل التركيز على كمية المعارف.
- التعلم في وضعيات حقيقية واقعية تسمح للمتعلم باكتساب مهارات وأداءات وليس فقط معارف بحتة.
- المقاربة النصية للمواد اللغوية: اعتمدت هذه المقاربة على أن اللغة كل متكامل يتعلمها التلميذ في كيانها وبنائها العام وهو النص.
- حل المشكلات للمواد العلمية: يعتمد تدريس المواد العلمية على طريقة حل المشكلات باعتبار أن كل حقيقة علمية وكل ظاهرة هي في أصلها مشكلة تواجه عقل المتعلم ينبغي أن يتدرب على حلها باستخدام طريقة علمية.
- إدماج المعارف المكتسبة في كل المواد واستخدامها عرضيا في كل المواد.
- تقويم الأداء: يتجاوز التقويم المعارف المكتسبة إلى أداءات المتعلم ومهاراته وسلوكاته ملازما بذلك كل النشاطات وفي كل مراحل الدرس الواحد.

#### 6- بيداغوجيا الكفاءات:

منذ منتصف التسعينات أصبحت عملية تسيير الموارد البشرية تحمل على عاتقها إيجاد أحسن الطرق وأنجع التقنيات في الاستفادة من الطاقات البشرية بأقل التكاليف، ليس على مستوى التكوين المهني فحسب. بل أيضا على المستوى المدرسي بكل مراحلها (16)، حيث أصبح التعليم منصبا على تعلم التلاميذ وإكسابهم الكفاءات الضرورية للتكيف مع محيطهم الاجتماعي والاقتصادي والثقافي والسياسي، والمستجدات الداخلية والعالمية. وعليه، أصبحت المقاربة بالكفاءات الأساس البيداغوجي المعتمد في كل الإصلاحات التعليمية العالمية بما في ذلك الجزائر (17).

لقد تدرج النظام التربوي الجزائري في استخدام المقاربات والمداخل البيداغوجية حسب متطلبات ومعطيات كل فترة في مسار الإصلاحات المختلفة. فمن المقاربة بالمضامين، إلى المقاربة بالأهداف، وانتهاء بالمقاربة بالكفاءات والتربية بالكفاءات *l'éducation à la competence* مما أدى إلى تزايد تطبيقاتها (18).

رغم الاختلاف الكبير والجدل القائم حول مفهوم الكفاءة وتعدد التعاريف، حيث أحصي أكثر من 500 تعريف يختلف كل منها عن الآخر باختلاف ميادين استعمالها (19)، وتصورات مستخدميها. إلا أن القاعدة المشتركة بينها جميعا هي أن الكفاءة هي عبارة عن حسن التصرف والتكيف، أي إجابة الفعل. (20).

#### 7- مميزات المقاربة بالكفاءات:

- الانتقال من منطلق التعليم إلى منطلق التعلم عملا بمبدأ أن كل تعليم جيد لا يؤدي بالضرورة إلى تعلم جيد. لكن كل تعلم جيد يدل حتما على تعليم جيد.
- إدماج المعارف والسلوكيات والأهداف التقليدية بشكل بنائي متواصل وليس بشكل تراكمي.
- تفريد التعليم وتكييفه للفروق الفردية داخل الفوج. ومراعاة ملامح التعلم لكل تلميذ بدل مراعاة المتوسط الشائع.
- السعي إلى تحقيق التكامل بين المواد والأنشطة الدراسية المختلفة، وجعل المعارف وسيلة لا غاية يتوقف جهد التلميذ عند اكتسابها وحفظها.
- تطبيق التقييم البنائي الذي ينصب على أداء المتعلم ومهاراته ومواقفه وقدراته. ويهتم بقياس مؤشرات الكفاءة المطلوبة حسب مستوى الإتقان والتحكم المرغوب فيه، والتأكد من تحويل المعرفة النظرية إلى معرفة عملية (21).
- تغيير مقاييس ترمين الفرد ومكانته بمعرفة ما يمكن له القيام به وإنجازه. فيكون المقياس والشعار: " أنا ما أعرف إنجازه أو فعله:
- « je suis ce que je sais faire » لأن البطالين يرون أنفسهم عاجزين عن التكيف، ولهم ميل إلى احتقار أنفسهم (22).

#### 8- الجانب الميداني:

- أ- الإطار الزمني والمكاني لدراسة: أجريت الدراسة على مستوى المقاطعات التربوية بولاية قالمة – الجزائر-. وقد تمت على مرحلتين زمنيتين، استغرقت كل واحدة منها ما لا يقل عن أسبوع، وبفاصل زمني بينهما يفوق الشهر.
- الدراسة الاستطلاعية: الهدف منها معرفة مختلف جوانب الموضوع ميدانيا لتحديده بدقة، وللتمكن بعدها من تعديل الفرضيات والتحضير لبناء الشكل النهائي للاستبيان. أجريت الدراسة الاستطلاعية على ثمان مفتشين من أصل 13 مفتش لغة عربية للطورين الأول والثاني ممثلين لـ13 مقاطعة تربوية موزعة على ولاية قالمة، و30 معلم سنة أولى ابتدائي اختيروا بطريقة عشوائية. وكانت نتيجتها أن تم تحديد المحاور النهائية التي بني عليها الاستبيان النهائي.
- مرحلة الدراسة النهائية: بعد الإعداد النهائي للاستبيان، تم توزيعه على 13 مفتش تم اختيارهم بطريقة مقصودة لأنهم عبارة عن المجتمع الأصلي، و70 معلما من أصل 343 معلم سنة أولى ابتدائي وهو ما يمثل 20% من المجتمع الأصلي، وقد تم اختيارهم بطريقة السحب من الإناء دون إرجاع اعتمادا على القوائم الاسمية. وبذلك يكون عدد أفراد العينة هو 83 فردا.
- ب- المعالجة الإحصائية: تمت معالجة البيانات إحصائيا باستخدام:

- التكرارات: حيث تم حساب تكرارات الإجابات بنعم، ولا، ولا أدري لكل سؤال، والخاصة بالمعلمين والمفتشين. ثم مجموع تكرارات الإجابة بنعم، لا، ولا أدري لكل محور بالنسبة للمعلمين وكذلك للمفتشين.

- النسب المئوية.

- قيمة ك<sup>2</sup>.

### 9- نتائج الدراسة:

لقد خلص البحث إلى النتائج التالية:

- 1- إن معلمي السنة أولى ابتدائي وهم أول من سيتحمل مسؤولية الإصلاحات الكبرى في ميدان التربية والتعليم، لم يتلقوا أي تكوين قبل انطلاق الإصلاحات. بل يؤكد الكثير منهم أنهم لم يعلموا بانطلاقها إلا من خلال وسائل الإعلام مع اقتراب الدخول المدرسي 2003.
- 2- إن معلمي السنة الأولى ابتدائي استفادوا من يومين إعلاميين عن بداية تطبيق الإصلاحات والتعريف بالمناهج الجديدة وذلك بعد الدخول المدرسي للمعلمين. وهذه العملية الإعلامية لا يمكن اعتبارها بأي حال من الأحوال عملية تكوينية. أما خلال السنة فإن نمط التكوين المستمر لم يتغير وهو نظام السنة أيام (6) لكل معلم موزعة على طول السنة. علما بأنها لا تلبى حاجة المعلمين ولا تساعدهم على تطبيق الإصلاحات.
- 3- إن محتوى التكوين الذي يتلقاه المعلمون خلال نظام الستة أيام لم تدخل عليه التعديلات المناسبة لطبيعة الإصلاحات الجديدة، حيث مازالت مواد التكوين هي: الرياضيات، الفيزياء، اللغة العربية، التربية الفنية، التربية العامة والاجتماعية. تقدم هذه المواد في محتواها القديم وطريقتها التقليدية، أي أنها غير منسجمة تماما مع طبيعة الإصلاحات.
- 4- إن تطبيق المقاربة بالكفاءات يتطلب التعريف بها وبخلفيتها العلمية والبيداغوجية وبتقنيات استخدامها في القسم وفي كل المواد والدروس. وهذا ما يفتقده المعلمون ويعجز عن تقديمه لهم المفتشون، ما عدا القليل منهم الذين يجتهدون في ذلك. وعليه فإن الإعداد لتطبيق المقاربة بالكفاءات يكاد يكون منعدما.

### الهوامش

- 1- وزارة التربية الوطنية، مناهج السنة الأولى من التعليم الابتدائي، أبريل 2003، ص5.
- 2- Ferry G : La pratique du travail en groupe. 2eme édition, Paris, Dunod. 1970, p197.

- 3- منجد اللغة العربية والآداب والعلوم، الطبعة 18، بيروت.
- 4- Larousse : dictionnaire de Français. VEUF, Montréal, 2001.
- 5- Dictionnaire encyclopédique de l'éducation et de la formation. Paris, Nathan, 2000, p894.
- 6- Claude le Lièvre, C : Histoire des institutions scolaires. coll les repères pédagogiques. Paris, Nathan, 1990.
- 7- عبد الكريم غريب، معجم علوم التربية، مرجع سابق.
- 8- Said Kitani : Le système d'enseignement entre rationalité et devenir. ed. L'Armarthan, Paris, 1999, p155.
- 9- عبد الكريم غريب، معجم علوم التربية، مرجع سابق.
- 10- عبد الله عبد الدايم، عن معجم علوم التربية، مرجع سابق، ص302.
- 11- عبد الحميد مهري وآخرون، إستراتيجية تطوير التربية العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، 1979، ص225.
- 12- محمد أبو بكر بن يونس وآخرون، تشريع التعليم الجزائري، الجزء الأول، إدارة موسوعات التشريعات العربية، أثينا اليونان، 1981.
- 13- الجريدة الرسمية: الأمر رقم 09/03 مؤرخ في 13 غشت 2003.
- 14- Jean-Claude Forquin : in dictionnaire encyclopédique de l'éducation et de la formation. 2eme ed. Paris, Nathan, 2000. p232.
- 15- عبد الكريم غريب، مرجع سابق.
- 16- Philippe Carré : Traité des sciences et des techniques de la formation. DUNO, Paris, 1999. p100.
- 17- فيليب بيرينو، ترجمة مصطفى بن حبيلس، المقاربة بالكفاءات، سلسلة من قضايا التربية: العدد 34. CNDP، الجزائر، 2003.
- 18-Gilles Tremblay : A propos des compétences comme principe d'organisation d'une formation. Bulletin d'information : vol 6, n°9, Avril 1990. p10.
- 19- -Gilles Tremblay. op cit .
- 20- Pierre Gillet : construire la formation. ESF édition. Paris, 1992, p38.
- 21- Philippe Perrenoud : Dix nouvelles compétences pour enseigner. ESF édition. Paris, 1999.
- 22- Jacques Jean Lapointe : Conduite d'une étude de besoins en éducation et en formation : un approche systématique. PV du Québec, 1995.



